القصة السادسة

القرار الصعب

عاد منصور من أحدى الدول الخليجية بعد سنوات فى الغربة استمرت خمسة عشر عاما استطاع خلالها توفير مبلغ من المال ولم تعد حياته كما كانت سابقا فقد حدثت له زلزله عميقه ارتجت ها كل اركانه فقد وجد العلاقات فاترة بينه وبين اولاده وزوجته عما كان عليه الحال قبل ان يحضر فى اجازات عنوانها السعاده والطاعه ربما لكونهم يتعاملون معه وقتها على انه ضيف يأتي فى زيارات وسرعان الايام ما تمضى ثم يعاود الكره مره تلو الأخرى بعد ان قرر عدم السفر ثانية وبينما يشاهد بإم عينة تلك التغيرات كان يراوده شعور داخلى بإنه لا بد ان يتزوج من فتاه يسترجع معها ما فاته من لحظات فقد توفر لديه المال وما زال بصحته ورغبته فى ان يلقن زوجته وابنائة درسا بإنه لا يعامل بمثل هذ الفتور الذى ظهر بعد ان قرر الأستقرار بينهم ، وكان يتابع ارضه ويخالط هذا وذلك من أهل القرية وفى احد الايام كان جالسا مع علوان فى العشة التى قام بإنشائها فوق الأرض العائده له ويحتسون سويا الشاى واذا بفتاه حسناء المنظر بارعة الوصف والتقاسيم تقترب رويدا رويدا منهم وبصوت يعترية الخجل تقول السلام عليكم ويرد منصورالسلام ويقول علوان أقتربي يا ليلى سلمي على عمك منصور ومدت يدها بحياء يدها فقام بالسلام عليها وانتابت جسده قشعريرة كشرارة الكهرباء عندما تتوغل فى الجسد وقال بسم الله ما شاء الله والتفت الى علوان وقال له دى ليلى بنتك قال له نعم هى فقال له منصور اخر

مره شاهدتها كان عمرها عشر سنوات لقد اخذت سنوات الغربه منا الكثير والكثير ما شاء الله بقيت عروسه قال له علوان لقد تزوجت فعلا ولم يستمر زواجها اكثر من سنتين والحمد لله ما خلفت من ابن المحروق اللى اتزوجها فقد كان ولد قليل الدب والتربيه وبدأت على وجه ليلى علامات الكآبه بعد ان كانت منفرجة السريرة والبسمة على شفائها عند وصولها وتركت الطعام بجوار والدها وأنصرفت الى منزلهم وقال منصور لعلوان الحمد لله على كل حال نصيبها باقى ان شاء الله .

ذهب منصور الى الغيط وانتهى من اعماله وعاد الى منزله ولم ينم ليلته فقد كانت قرينتة فى السهر ليلى الحسناء ولم يبارح طيفها خياله واخذ يصول ويجول بإفكارة فى ليلى وذهب بخياله الى اقصى ما يتمناه البشر وهو الزواج من فتاه لم يبلغ عمرها الخامسة والعشرون بعد ويتذكر انه وصل الى منتصف الأربعينات فيؤد تلك الحلام كؤاد الجاهلية للفتيات قبل السلام ثم يعاود الكره مرات ومرات ويجعل مميزاته تفوق مساؤئة فهو الثري الذى يملك اراضى وعمارات فى احد المدن القريبة وما زال شابا فأكتمال النضج يبدأ بعامه الأربعين الى ان ادركه اذان الفجر وفى نفسه شئ ينوي الأقدام عليه وهو الأرتباط بالساحرة ليلى ذات التقاسيم والأوصاف الرائعه مهما كانت النتائج ومهما كانت ردود الأفعال.

تكررت مرات التواصل بين علوان ومنصور فى الزرع وفى المنزل حتى اصبحت الطريق ممهده للتقدم لخطبة الفتاة وقال له اسمعنى يا علوان انت عارف انى الحمد لله سافرت وعملت قرشين حلوين وانا بصراحه قررت الزواج على ام مصطفى ومش هالاقى زي بنتك ليلى صحيح فرق السن بيني وبينها يزيد عن عشرين عام

لكن اعدك بأنني سأحافظ عليها وستكون معززة ومكرمة فى بيتي ولن يتعرض لها احد من اهل بيتي بسوء والتفت اليه علوان وقال له يا منصور لقد فأجاتني بهذا الطلب ولا استطيع أن اعدك بشئ وسأخذ رآي البنت بعد تجربتها المريرة التى تعرضت لها وما يرديه الله سيكون انتظر عليا اسبوع وسأعطيك القرار بالايجاب او بالسلب.

عاد علوان الى منزلة وقامت ليلى بتجهيز الطعام لوالدها وبعد الانتهاء من تناول العشاء طلب منها ان تجلس بجواره ليحدثها بأمر هام وجلست بجوارة وقال لها جالك عريس يا ليلى فابتسمت ليلى ابتسامة العذراء التى لم يسبق لها الزواج وطأطأت رأسها خجلا وقالت مين ده اللى يتجوز مطلقة مع ابتسامة مملوءة بالحزن قال لها لقد تقدم ليكى عريس يزيد فى العمر عنكي بأكثر من عشرين عام ومتزوج وعنده ابناء ولكن لديه خير ومال وحدثني اليوم وقلت له أستشير ليلى فى الأمر ولن أجبرك على الزواج منه بعد ان اجبرتك فى الزيجة الأولي التى لم تستمر والقرار فى هذه المرة سأجعله بين يديك.

فهمت ليلى من حديث والدها ان العريس هو منصور الذى شاهدته جالسا مع والدها فقد شعرت بإن سلامه عليها يوم ان تقابلت معه عند والدها يحوي نوع من المشاعر لا يفهما الأ الأنثى وقالت لوالدها ولكنه متزوج ولديه اولاد فقال لها والدها لقد تحدثت معه فى الأمر وقال لى بانه يسيطر على الامور ويستطيع توفير منزل مستقل خاص بك فى حال الموافقه.

شعرت ليلى بإن هناك ميل من والدها وموافقه ولكنه يأخذ رآيها على سبيل الأسترشاد واخذت تفكر ليلتها كامله فى العريس

المنتظر وعن بقائها فى المنزل منذ طلاقها وصعوبة الخروج للعمل او الأحتكاك مع المجتمع والقيل والقال المنتشر فى الأرياف والنظرة الى المطلقة نظرة سلبية حتى عند أسرتها فهى كالحمل الثقيل الذى يتمنون فى يوم من الأيام ان يتخلصون منه وبعد عناء فى التفكير قررت الأستجابة لموازين العقل وان تتزوج بغض النظر عن فارق العمر فقد عاشت فترة مع من كان مقارب الى سنها وانتهت تجربتها معه بالمرارة والحسرة على ضياع لحظاتها معه وكذلك العريس رجل مقتدر وسيحافظ على ان يجعلها فى مستوي معيشى طيب وهذا ما تتمناه اى فتاة .

ظلت تفكر ليلى طيلة الأسبوع حتى سالها والدها عن رآيها فى الموضوع حيث انه وعد منصور بالرد عليه خلال اسبوع فابدت موافقتها بشرط ان يكون لها بيت مستقل حتى لا يحدث مشاحنات بينها وبين مصطفى ووالدته من جهة اخرى .

مضى الأسبوع كالسنة الكامله وطوال تلك الفترة يحسب منصور الساعات والدقائق والثواني حتى كان الخبر من علوان يوم الخميس بالموافقة مع شرط ان يكون لها بيت مستقل حرصا على عدم حدوث مشاكل بينها وبين زوجته الأخري واولاده ففرح منصور كثيرا بهذا الخبر وعانق علوان واتفقا سويا على ان يكون قراءة الفاتحه يوم الجمعة ويؤجل الزواج الى حين الأنتهاء من تجهيز بيت مستقل لها ، وفى اليوم التالى قام منصور بالذهاب الى المدينة واحضر ملابس وهدايا وبعض المصوغات الذهبية وتوجه الى بيت علوان حيث اليوم المتفق عليه لقراءة الفاتحة وكانت ليلى تجهز وليمة فى المنزل للعريس المنتظر عليها من الأصناف ما لذ وطاب وتم قراءة الفاتحة وارتدت العروس دبلة الخطوبة وتبادلت نظرات مع منصور عابره تحمل الكثير من المعاني اهمها الرضاء والسعادة وتناولوا ولئيمة الطعام وسرعان ما انتشر الخبر فى القرية وبدأ

الجميع يتحدث حيث اصبح محل استهجان من الجميع وعند رؤيتة لم يعيب عليه اى شخص تصرفة فى الرغبة بالارتباط من جديد وتحدثت السيدات فيما ينهن ايضا ووصل الخبر الى ام مصطفى وارتدت السواد انتظارا لأعلان الهجوم وكأنها تتحين الفرصة المناسبة للأنفجار.

أستيقظ منصور فى الصباح الباكر وأرتدي الجلباب والعمه والشال ونزل من الطابق العلوي الى الطابق الأرضي ليجد (ام مصطفي) وقد اعدت الفطور على الطبليه وعليها خيرات الله من الزبده والجبن والفطير والفول والجرجير وتناول منصور الفطار وام مصطفي قامت بتجهيز كوب الشاي الأسود المغلى وتبادله نظرات فيها الكثير من الحوارات ولكن الكلمة حبيسة لسانها ولم تجرؤ على ذلك وبعد تناوله الفطور وبينما يستعد منصور للخروج سمع صوت على الباب فقام من جلسته وترك كوب الشاي ليرى من على الباب فى هذا الصباح الباكر وطلب من ام مصطفي الدخول الى الغرفه حتى لا يشاهدها هذا الضيف وفتح منصور الباب واذا بالحاج (محمود) فقام بالسلام عليه واعتذر الحاج محمود عن القدوم فى هذا الصباح الباكر وقال معلهش يا حاج منصور بصراحه الأمر لا يحتمل التأخير وقبل ان يكمل كلامه طلب منه منصور ان يجلس فى المضيفه ونادى على ابنه مصطفي بصوت جهور جهز الفطار لعمك محمود يا (مصطفي) واصر محمود على انه لا يرغب بالفطور واكتفي بالشاي.

قال له منصور خير يا حاج محمود قلقتني ايه اللى حصل، فأخذ الحاج محمود يستجمع الكلام من هنا وهناك وقال له يا منصور نحن من زمان جيران فى البيت والغيط وواكلين مع بعض عيش وملح ووصلني كلام من ناس بيقولوا انك ناوي تتجوز على ام مصطفي وانت عارف ما فيش حاجه فى البلد الفقريه دى بتستخبي وما فيش نار من غير دخان.

ونظر له منصور نظره يتطاير منها الشرر وقال له بصوت حازم وفيها ايه يا حاج محمود هوه انا كفرت ده شرع ربنا وانا راجل قادر الحمد لله قال له الحاج محمود المشكله مش بتخالف شرع ربنا بس انت ناوي تناسب ولد المحروق (علوان) وده راجل فتنه وما يحبش يشوف راسين فى طاقيه واحده وبنته صغيره عليك وانت فوق الأربعين سنه يا ولد الحلال ومش هتتحمل معاها البهدله وانا لولا انى باقي ع العيش والملح اللى بينا ما كان جيت لك اليوم بس سمعت انك خطبتها يوم الجمعة ، نظر اليه منصور وقال له اسمع يا حاج محمود انا فعلا خطبتها وقريت الفاتحة مع اهلها يوم الجمعة وده قرار واخده من شهرين وانا ليا دعوه بالبنت ومماليش دعوه بابوها وكل واحد بيتعلق من عرقوبه وما فيش فائده نعيدو ونزيدوا فى الكلام هى خلصانه واللى عنده كلمه يحطها فى خشمه وقام الحاج محمود من جلسته وقال لمنصور متزعلش منى انا نصحتك وحقك عليا وانت صاحب القرار ومش صغير وخرج محمود من بيت منصور واغلق منصور باب منزله وقال فى نفسه البلد الفقريه دى ما فيش وراها غير قولنا وقال وفلان وعلان برضه اللى فى راسي هيمشي وما فيش حد له صالح ولا كلمه فى قرار.

خرجت ام مصطفي من غرفتها عقب خروج الحاج محمود وبدهاء المرأه رأت ان هذا التوقيت المناسب للمصارحة وقالت له انا سمعت كل حاجه من صوتكم العالى هل قصرت معك فى شئ وأخذت تبكي وقال لها وهل قلت اننى سأتخلى عنكي ستظلين زوجتي وأم عيالى ولن افرط فيكي أو اسمح لك بإلاهانه طول حياتك وستظلين معززة مكرمة فى بيتك ولن ينقصك شئ واستطيع أن اوزن الأمور بينكم فحسابي سيكون من رب العالمين وأنا احرص الناس على طاعتة وكأنه يتحدث فى واد وهى فى وادى اخر وكانت النار تأكل أحشاها فالفتاه التى سيتزوج منها اصغر منها سنا وربما تأخذه منها

حكم مكر الفتيات صغيرات السن وقامت بالخروج من الحوار معه وصعدت الى غرفتها واخذت تجمع ثيابها فى احد الحقائب فقد قررت الذهاب الى منزل اهلها القريب من المنزل وبينما هى تستعد للخروج استوقفها منصور وقال لها بصوت حاسم لقد قررت ان اتزوج وسابني لها بيتا مستقلا وذهابك الى اهلك لن يحل الوضع او يجعلنى اتراجع عن قرارى وان صممتي على البقاء فى بيت اهلك لكي عندي المصاريف وعيالك ان رغبوا بالبقاء معك سيبقون لكن فى منزلى والا لا تلومي الأ نفسك وخرجت ام مصطفى والدموع تنهمر منها الى بيت اهلها.

اخبرت ام مصطفى اسرتها بسب رجوعها الى منزلها بحقيبة الهدوم وكانوا يعلمون مسبقا ما الذى انتشر من احاديث بشأن زواج من ليلى بنت علوان وقام اخوتها بالتهدئة وطلبوا منها التوجه الى غرفة اختها الصغرى وانهم سيحثون فى الأمر مع منصور.

بعد خروج ام مصطفى من المنزل اتجه منصور الى المقاول سعيد وطلب منه مرافقته الى المنزل وطلب منه تحديد المقاسات والبدء فورا فى بناء منزل جديد وان يقوم بالانتهاء منه بأسرع وقت حتى لو اقتضى الأمر ان يعمل ليل نهار وتم البدء فى البناء فعليا وتكررت محاولات الأصلاح بين منصور واهل زوجته ام مصطفى فى محاوله لعودتها وكان الأبناء يعيشون مع والدهم ويختلسون فترة غيابة لزيارة والدتهم والأطمئنان عليها وبعد تدخل صديقه محمود ذهب معه الى منزل ام مصطفى وتم التحدث معها من جديد واصر أهلها على ان يؤمن مستقبلها هى وعيالها بكتابة اوراق احدى العمائر التى يملكها فى احد المدن بإسمها حتى تقوم بالرجوع الى منزل الزوجيه ولمعرفة منصور اليقينية بإنه لن يظلمها او يظلم اولادها وافق على كتابة تلك العمارة باسم ولدة مصطفي وفى النهاية لن يخرج عن طوعة وعادت ام مصطفى الى منزلها من جديد وكانت

تقوم بتجهيز الطبيخ للعمال الذين يقومون بتجهيز المنزل الجديد الذى سيتزوج فيه منصور من ليلى بنت علوان.

استمر البناء ما يقارب الشهر وطوال تلك الفترة كان منصور يتردد على بيت علوان وحدث تألف بين ليلى ومنصور وكان كل يوم يمضى بينهما يزداد تعلقا بها وام مصطفي تحاول ان تتأقلم مع الوضع الجديد وانه لا بديل لها عن العيش فى بيت زوجها مع ابنائها لأن منصور عندما يقرر أمرا لا يرجع فيه ولا فائده من بقائها فى منزل اسرتها فقد توفى والدها منذ زمن بعيد واخوتها لديهم التزاماتهم ومصاريفهم وحياتهم وعند انتهاء المنزل ذهب منصور الى علوان وطلب منه تحديد موعد لعقد القرأن والزفاف وهنا ظهرت شخصية علوان الحقيقيه فقد كان طامعا وتحت ستار القائمة والمهر والشبكة ظهرت نواياها الجشعة بدعوى تأمين مستقبل أبنته وحدد مبالغ خياليه لكن فى هذا التوقيت كان منصور مستعد لدفع أي شئ نظير الزواج من ليلى ووافق على كل شروط علوان وتم تحديد موعد الزواج وكان منصور فى قمة سعادتة وكانت ام مصطفي تأكل احشائها الغيرة لكنها لا تملك من أمرها شيئا واستمر منصور فى العدل بينهما فى كل المتطلبات الأسرية ويوما بعد يوم يحاول ايجاد قواسم مشتركه بين زوجتية ليلى وام مصطفي حتى أصبحت الأثنتان فى حالة من حالات التوافق الأسرى وكن يتبادلان الزيارات الى أن اصبحن يقمن فى بيت واحد وترك الثاني لمصطفي واخوته لكي يتزوجون فيه ومضي قطار العمر سريعا واصبح منصور كلما يتذكر قرارة بالزواج يبتسم وكذلك ام مصطفي وليلى فالقرارات المصيرية قد تكون صعبة أحيانا لكن الحرص على تطويعها وفق العقل يجعلها تأتى بثمار جيده والعدل بينهما كان المفتاح .